الخاتمة

تناول هذا البحث الذي استغرق أربعة فصول، موضوع "السحر في الشعر العربي القديم"، وقد كشف جانباً مهماً من جوانب فكر ومعتقدات الانسان العربي القديم الذي يعد جزءا من فكر الإنسان العربي القديم والحديث معاً، ونسبة لاختلاف الواقع والحقيقة في العالم الذي نعيشة، وعالم السحر والجن الذي سلمنا بحقيقة وجوده التي نص عليها القرآن الكريم، والسنة الشريفة، ودللت عليها شواهد الشعر التي حملتها بعد أن استنطقناها؛ فقد غامت علينا بعض الحقائق التي نحسبها غير متاحة لنا، وذلك لمحدودية قدراتنا، نسأل الله أن يفتح علينا بما يمكننا من كشفها، أو يسلط عليها من يقدرون بهبته. ونحمده ونشكر فضله أن هدانا إليها، لما فيها من تذكير بقدرة الخالق وعبرة، وما فيها من كشف لمكامن الخير والشر في حياتنا اليومية، ونحسبها خيرا كثيرا. وبعيداً عن التفاصيل الكثيرة في البحث فإنني أجمل أهم النتائج في النقاط التالية:

- إن السحر موجود وهو علم يُتعلم بنص الكتاب، وله تاريخ ضارب بجذوره في الكون منذ الخليقة. قال تعالى: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ} (الذاريات: ٥٢)، وهذا البرهان القاطع يقول إن كل الأمم السابقة قد عايشت السحر وعرفته.
- لم يكن الانسان في تلك الحقبة من الزمن، بمعزل عن المعتقدات التي أقرها الإسلام، وما زلنا نؤمن بها، ونصدق بتأثيرها علينا، الأمر الذي يؤكد الصلة المتعاقبة بين الأجيال، ويؤكد حلقة التواصل الفكري والثقافي بين البشر.
- الشعر فن قولي، أحاطت به هالة من العجب والإثارة منذ نشأته التاريخية التي ارتبطت بالأسطورة والدين، فنشأ وترعرع في أحضانهما، واكتسب كل خواصهما، وبتقادم الزمن وخضوعاً لقانون الطبيعة في التغيير؛ استقل بنفسه وأصبح فنا خالصاً ينشد لغايات جمالية أو لإحداث الجمال والفن.
- استطاع الشعر القديم بفضل قوة تأثيره على العرب وشدة انفعالهم به في تلك الحقبة، أن يتبوأ مكانة عالية وأن يحظى بتقدير عظيم. وقد ساهم في تغيير الإنسان وفكره وتغيير نظرته للحياة، مما مكنه من تغيير مجريات الأحداث الحياتية بشكل عام،

وصرفها للوجهة التي أرادها هو، وقد قام بدور جليل في خدمة الدين الاسلامي وتثبيت اركانه، وما زال يمارس دوره في التغيير والصرف حتى الآن.

- الفن في فجر الإنسانية، لم تكن تربطه "بالجمال" سوى علاقة واهية، ولم تكن له أية علاقة بالرغبة الجمالية. قد كان أداة سحرية، أو سلاحاً سحرياً لدى الجماعة البشرية في نضالها من أجل البقاء، والشعر كفن ومن أرقى الفنون ينطبق عليه القول. هذا باعتماد آراء العلماء التي ترجع الشعر إلى أصول أسطورية تعبدية، اتضحت من خلال الوظائف والأدوار التي كان يؤديها الشعر، بإنشاده لأغراض سحرية تساعد على تحمل مشاق العمل (الجني، الصيد).
- المنشأ الأسطوري للشعر والسحر، والطبيعة المشتركة بين لغة السجع ولغة الشعر التي كان ينشدها السحرة لغايات سحرية؛ تجعلنا نرجح احتمال تطور الشعر من الرجز الذي تطور هو الآخر من سجع الكهان والتراتيل الدينية والاناشيد.
- معظم الأشعار الجاهلية استمدت مادتها من العلاقات الاجتماعية. وعبر الشعر الجاهلي بصوره وكلماته وموسيقاه، عن صراع الإنسان ضد وحش الحياة وهو الموت.
- يتجلى البعد الديني في الشعر الجاهلي من خلال القداسة التي حظيت بها المعلقات، من كتابة بماء الذهب وتعليق على جدار الكعبة. ومن خلال خصوصيته الإلقائية (الإنشاد، التغني)، التي تكشف عن منشأه الديني كتراتيل وترانيم دينية غنائية موجهة للآلهة،..هذه الخصوصية الإلقائية لم تتوفر في التاريخ العربي سوى للشعر ثم للقرآن الكريم. فالبعد الديني للشعر يثبت أن الشعر كان ظاهرة تنتمي إلى عمق الحياة الروحية والفكرية الجاهلية.
- ارتبط الشعر بالكهانة والسحر في مرحلة من مراحل نشأته الأولى، واشترك في تلك المرحلة الشاعر والكاهن في طبيعة اللغة التي يستخدمانها، كما اشتركا في مصادر وحيهما الشيطانية، وفي الأدوار والمهام التي يؤديانها في المجتمع، كما أنهم تشابهوا في الصفات والطبائع، والمظاهر الشكلية.

- وقف القرآن الكريم موقفا مشتركاً في الإلهام في الشعر والسحر والكهانة، وهو الوحي عند الأنبياء، وهو موقف لا ينكر منابر وحيها– فقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم لحسان ابن ثابت بالتأييد بروح القدس–لكنه يعتبره وحياً مخلوطاً ومشوشاً كاذباً، مقابلاً للوحي الأصيل الصافي، وحي الرسول صلى الله عليه وسلم.
- تؤكد الملامح السحرية للإلهام في الشعر؛ حقيقة وجود هذه القوى الملهمة للشعراء، فقد اكتسبوا بفضل ما تلقيه في روعهم بنفثها الشيطاني خواص السحرة وطبائعهم، وأهدافهم ومراميهم الغالبة عليها الطبيعة الشريرة، وامتلكوا كافة الوسائل والطرق السحرية التي تمكنهم من الاتصال بهم، والتواصل معهم، والتوسل اليهم بالتشبه بهم في لبسهم ومسوحهم استرضاء لهم، ليستمدوا منهم القول الممضي الهادف الى تعطيل قوى خصومهم، وقد نجحوا في ذلك..وقد وجدت في الشعر السوداني الحديث قصيدة للشاعر عبد الله البشير، باسم "البحث عن بيت شعر" تؤيد وتؤكد حقيقة الالهام. الا انني لم اجد المرجعية للتوثيق، فديوانه ما زال تحت الطبع، فآثرت عدم ذكرها.
- صلة الشعر والسحر، صلة ماثلة في طبيعة العملين الشعري والسحري، لما في الشعر من سحر وما في السحر من شعر، ولها جذور تاريخية عميقة صورتها الأسطورة وما نقله الشعر من معتقدات وطقوس سحرية، مارسها الانسان الجاهلي.
- التقى او توحد الشعر السحر في عدة وجوه أولها ارتباطهما في المفهوم اللغوي الذي جعلهما بمعنى واحد، كما اجتمعا في طبيعتهما القائمة على التمويه والتخييل والخدعة، وكذلك اشتركا في مبدأي المحاكاة وسحر العدوى، في اجراء عملهما المؤثر والفعال. ثم في ارتدادهما إلى ثنائية الخير والشر والمدح والذم، وفي طبيعة عملهما الفردي، وفي القدرة على امضاء العزم السحري والعزم الشعري.بحشد كل الطاقات التي تمكنه من النفوذ. كما يتشابهان في المراسم الطقوسية التي ترافق العمل السحري والعمل الشعري، من استعداد وتهيؤ نفسي وشكلي.
- الغناء هو الابن الشرعي لازدواجية الشعر والموسيقى، اذا جاز التعبير، فخواص الموسيقى السحرية، وكذلك خاصية الشعر الجاهلي الغنائية المموسقة بطبيعتها، انتجت ما عرف

بالغناء، ونحسب سحره خالصاً لا مراء فيه، وجاء دوره السحري وتأثيره اقوى، فكان هو السحر، فعله سحر، ومفعوله سحر وفاعله ساحر بقدراته الأدائية الساحرة...وبذا أصبح سحره يفوق كل سحر.

- ارتبط الشعر الجاهلي بالغناء والإنشاد، وقد تكررت كثيراً عبارة "أنشدنا فلان"، وساعدت طبيعته الغنائية في حفظه وانتقاله بين الناس باعتماده على الشفاهية. والغناء من أهم العوامل المساعدة على الحفظ والثبات في الذاكرة، إضافة إلى تأثيره الجاذب للاستمتاع بالشعر وتذوقه. وقد حقق هذا لتلقي الشعر خصوصية ميزته عن تلقي أي فن آخر.
- توصلت الدراسة إلى أن الشعر القديم كان يصرف في موضوعات سحرية وبممارسات سحرية محضة، كالهجاء الهادف إلى تعطيل قوى الخصم والطقوس السحرية التي تسبقه وترافقه، ورثاء الموتى من أجل أن تطمئن أرواحهم في قبورها حتى يأخذوا بثأرها، وإثارة حمية العربي بالأشعار الحماسية للأخذ بالثأر وخوض غمار الحروب. وأيضاً استمطار السماء بطقوس سحرية بصورة شعرية تحاكي المطر وافعالها فتمطر. كل هذه الممارسات كان يقوم بها الشاعر الساحر.
- هناك ممارسات سحرية نابعة من معتقدات اسطورية، ارتبطت بالعادات والتقاليد والعزائم والتعاويذ السحرية التي مارسها العرب الجاهليون، نقلها الشعر الجاهلي، عاكساً أفكار ومعتقدات المجتمعات القديمة، مما يدلل على أن الشاعر لا ينفصل فكره عن فكر جماعته التي بوأته هذه المكانة ليحميها ويحمي معتقداتها بقدراته الفائقة. بل يصورها في ابدع ما يكون ترسيخاً وتأكيداً لها ولحقيقتها.
- وقفت الدراسة على المعاني معاني السحر التي ارتبطت بالجمال كسحر جمال المرأة الذي يضرب العشاق بالجنون والخبل- وسحر جمال العيون المشبهة بالغزلان والمها والنواعس، وسحر جمال الطبيعة بنباتها وحيوانها وماءها وأمطارها. فهذه من معاني الجمال التي ارتبطت بالسحر، والتي سحرت الشاعر فصورها تصويراً بديعاً.

التوصيات:

نعتبر هذه الدراسة خطوة استكشافية لإلقاء الضوء على علاقة السحر بالشعر، وما بينهما من صلات، وقد تناولت الشعر القديم باعتباره تاريخ وأصل تطور ونتج عنه الشعر الحديث، فإن لم تصب الإصابة المرجوة؛ حسبها تسليط الضوء على هذا الموضوع وهو في اعتقادنا جدير بالبحث المتمعن والمتخصص في العلوم التي تمكن من كشف وتفسير الجانب الخفي المتعلق بالسحر أكثر، وتوصي بـ:

- التدبر في ما جاء في كتاب الله الكريم، والتوسع في بحثه وشرحه والعمل به للوصول الى عمق معانيه التي تكشف الحقائق وتنير البصائر، وتحفظ الانسان من شرور نفسه، وشرور المخلوقات من الانس والجن. خصوصاً فيما يخص عالم الجن والشياطين والسحر، لأن هناك وعد من الشيطان لله عز وجل قال تعالى: لأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً{١١٩} يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً {١٢٠}أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً}. صدق الله العظيم. وقانا الله واياكم.
- جاءت هذه الدراسة بالنظر لها من زاوية أو ناحية أدبية بحتة، فيها بعض التوسل بعلوم اللغة الأخرى، ومما لا شك فيه أن رؤى المختصين في العلوم الإنسانية الأخرى، قد تختلف نظرتهم او تجانب او تطابق، أو تؤيد، أو... ولاثبات الحقيقة أو نفيها، بالضرورة اخضاع موضوع الدراسة لرؤى مغايرة لرؤية الأدب واللغة وفي ظل علوم الماورائيات الحديثة.